

القصيدة الهائية في الترغيب والترهيب

للعلامة
حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ
(ت: ١٣٧٧هـ)

المقدمة

باسم الله، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذه هي «القصيدة الهائية» للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمته الله، وهي كما قال تلميذه العلامة زيد المدخلي رحمته الله ^(١): «قصيدة في الترغيب والترهيب والحث على تقديم الآجلة على العاجلة، والاستعداد للقاء الله بمجاهدة النفس الأمارة بالسوء والهوى والشيطان، حتى تلتزم بالطاعة مصدر العزة والسعادة، وتبتعد عن المعصية مصدر الذل والهوان والردي والشقاوة.

كما تناول فيها التحذير من الاغترار بالدنيا وإيثارها على الآخرة، وبيان ما سيؤول إليه المغرورون الذين استعذبوا هذه الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وغفلوا عما من أجله خلقوا، وبه على لسان نبيه صلوات الله عليه استخلفوا.

وشوقَ النفوس المطمئنة بأوصاف الجنة دار الكمال والجمال والبقاء والدوام، على ضوء وصف خالقها لها في كتابه الكريم، وعلى لسان عبده ورسوله محمد صلوات الله عليه سيد الأولين والآخرين الذي بوأه ربُّه الرفيق الأعلى في عليين» انتهى كلامه رحمته الله.

(١) في ترجمته لشيخه رحمه الله، انظر مقدمة «مجموع الرسائل والمنظومات العلمية للعلامة حافظ الحكمي» ص ٤٧، جمع أبي همام البيضاني، مكتبة الكلم الطيب، ط ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، وليست القصيدة الهائية في هذا المجموع.

وهي ٣٨ بيتاً من البحر الطويل، شرّحها شرحاً موجزاً تلميذُ الناظم الشيخ العلامةُ زيد المدخلي رحمته الله، وقال في مقدمة شرحه ^(١) ص ٨: «أما بعد، فقد عثرتُ أنا وبعض الإخوة الكرام من طلبة العلم في هذه الأيام على قصيدة مخطوطة موضوعها (الترغيب والترهيب)، هذه القصيدة التي سأقدمها بين يدي القراء الكرام هي لفضيلة العالم العامل والزاهد الورع صاحب التصانيف الكثيرة والأعمال الخيرة المنيرة الشيخ / حافظ بن أحمد بن علي الحكمي المولود عام ١٣٤٢ هـ، والمتوفى في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٧ هـ بمكة المكرمة، رحمه الله وأكرم مثواه». اهـ.

فأخذتها من هذا الشرح - وهي فيه غير مشكولة - لتخرج هنا مضبوطةً بالشكل الكامل، وعلامات الترقيم المناسبة، مع التعليق اليسير فيما يخدم الضبط.

هذا، واللّه أسألُ أن ينفع بها، ويرحم ناظمها ويغفر له، ويجزيه عنا خير الجزاء، اللهم آمين.

المعني

محمد بن فلاح بن مشعان العيزي المطيري

الاثنين ١٤٣٧/٢/١١ هـ - ٢٠١٥/١١/٢٣ م

الكويت - صباح الناصر

(١) دار المنهاج / مصر، ط الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

القصيدة الهائية في الترغيب والترهيب

للعامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمته الله

- ١- وَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُعِيَّتِي وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَا لَهَا
- ٢- وَلَسْتُ بِمِيَالٍ إِلَيْهَا وَلَا إِلَى رِئَاسَتِهَا، نَتْنًا وَقُبْحًا لِحَالِهَا!!
- ٣- هِيَ الدَّارُ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْعَنَاءِ سَرِيعَ تَقْصِيَّتِهَا، قَرِيبَ زَوَالِهَا
- ٤- مَيَاسِيرُهَا عُسْرٌ، وَحُزْنُ سُرُورِهَا غَبِيٌّ فَيَا سُرْعَ انْقِطَاعِ وَصَالِهَا!
- ٥- فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحُولَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا
- ٦- فَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ جَاهِدًا أَلَا اظْلُبْ سَوَاهَا؛ إِنَّهَا لَا وَفَا لَهَا
- ٧- فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيصٍ وَمُشْفِقٍ عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَنْ يَنَالَهَا
- ٨- لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ «الْحَدِيدِ» وَ«يُونُسَ» وَفِي «الْكَهْفِ» إِيْضًا بِضَرْبِ مِثَالِهَا
- ٩- وَفِي «آلِ عِمْرَانَ» وَسُورَةِ «فَاطِرٍ» وَفِي «الْأَحْقَافِ» أَعْظَمُ وَاعِظٍ
- ١٠- وَفِي سُورَةِ «الْأَحْقَافِ» أَعْظَمُ وَاعِظٍ وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ مُوجِبٍ لِاعْتِزَالِهَا
- ١١- لَقَدْ نَظَرُوا ^(١) قَوْمٌ بَعَيْنٍ بِصِيرَةٍ إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْزُرْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا

(١) كَلُغَةً «أَكْلُونِي الْبَرَاعِيثُ».

- ١٣- أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا وَحِزْبُهُ لَهُمْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِرْثًا، وَيَا لَهَا!
- ١٤- وَمَا إِلَيْهَا آخِرُونَ لِجَهْلِهِمْ فَلَمَّا اِظْمَأَنُّوا أَرْشَقَتْهُمْ نِبَالُهَا ^(١)
- ١٥- أُولَئِكَ قَوْمٌ آثَرُوهَا فَأَعْقِبُوا بِهَا الْخِزْيَ فِي الْأُخْرَى، وَذَاقُوا وَبَالَهَا
- ١٦- فَقُلْ لِلَّذِينَ اسْتَعَذَبُوهَا: رُوَيْدُكُمْ! سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ ^(٢) النَّقِيعَ زُلَالُهَا
- ١٧- لِيَلْهَوْا وَيَعْتَزُّوا بِهَا مَا بَدَأَ لَهُمْ مَتَى تَبْلُغِ الْخُلُقُومَ تُصْرَمُ حِبَالُهَا ^(٣)
- ١٨- وَيَوْمَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيهَا ^(٤) وَمَالَهَا
- ١٩- وَتَأْخُذُ إِمَّا بِالْيَمِينِ كِتَابَهَا إِذَا أَحْسَنَتْ، أَوْ ضِدَّ ذَا بِشِمَالِهَا
- ٢٠- وَيَبْدُو لَدَيْهَا مَا أَسْرَتْ وَأَعْلَنْتْ وَمَا قَدَّمَتْ مِنْ قَوْلِهَا وَفِعَالِهَا
- ٢١- بِأَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مُسَطَّرٌ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرُهَا وَجِدَالُهَا
- ٢٢- هُنَالِكَ تَذَرِي رِبْحَهَا وَخَسَارَهَا وَإِذْ ذَاكَ تَلْقَى مَا إِلَيْهِ مَالُهَا
- ٢٣- فَإِنَّ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالتَّقَى فَإِنَّ لَهَا الْحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِهَا
- ٢٤- تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَخُورِهَا وَتُحْبَرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلَالِهَا
- ٢٥- وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيمِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِهَا وَزُلَالِهَا

(١) «نبالها» بالنصب مفعول به ثانٍ.

(٢) «السُّمُّ» بالنصب خبر «سينقلب» التي بمعنى «صار»، و«زلالها» بالرفع اسمها مؤخر.

(٣) أي: عند الموت تُقَطَّعُ حِبَالُ الدُّنْيَا.

(٤) «بنيتها» بالياء نصباً خبر «كان» المحذوفة واسمها، والتقدير: لو كان الفداء بنيتها.

- ٢٦- وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَمَوْعِدًا زِيَادَةً ^(١) زُلْفَى، غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا
- ٢٧- وَجُوهٌ إِلَى وَجْهِهِ الْإِلَهِ نَوَاطِرُ لَقَدْ طَالَ مَا بِالْذَّمِّعِ كَانَ ابْتِلَالُهَا
- ٢٨- تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ مُسَلِّمًا فَيَزْدَادُ مِنْ ذَاكَ التَّجَلَّى جَمَالُهَا
- ٢٩- بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا الْجَارُ رَبُّهُمْ وَدَارِ خُلُودٍ لَمْ يَخَافُوا زَوَالُهَا
- ٣٠- فَوَاكِهَهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونُهُمْ وَتَطْرُدُ الْأَنْهَارُ بَيْنَ خِلَالِهَا
- ٣١- عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ، ثُمَّ فُرُشُهُمْ كَمَا قَالَ فِيهَا رَبُّنَا وَاصِفًا لَهَا =
- ٣٢- بِطَائِنُهَا إِسْتَبْرَقٌ، كَيْفَ ظَنُّكُمْ ظَوَاهِرُهَا؟! لَا مُنْتَهَى لِجَمَالِهَا
- ٣٣- وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ وَنَارُ جَحِيمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالُهَا!
- ٣٤- لَهُمْ تَحْتَهُمْ مِنْهَا مِهَادٌ، وَفَوْقَهُمْ غَوَاشٍ، وَمِنْ يَحْمُومٍ ^(٢) سَاءَ ظِلَالُهَا
- ٣٥- طَعَامُهُمُ الْغَسْلِينُ فِيهَا، وَإِنْ سَقُوا حَمِيمًا بِهِ الْأَمْعَاءُ كَانَ انْجِلَالُهَا
- ٣٦- أَمَانِيَّتُهُمْ فِيهَا الْهَلَاكُ، وَمَا لَهُمْ خُرُوجٌ وَلَا مَوْتُ، كَمَا لَا فَنَاءَ لَهَا
- ٣٧- مَحَلِّينَ - قُلُوبٌ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا - لَتَكْسِبَ ^(٣) أَوْ فَلَتَكْتَسِبَ مَا بَدَأَ لَهَا
- ٣٨- فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَوَزَتْ ^(٤) وَتَخَفَّفَتْ فَتَنْجُو كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

مَاتَ

(١) «زيادة» بالنصب لأنه بدل من «لموعدا» الموصوف بشبه الجملة، ويصح رفعه خبراً لمبتدأ محذوف.

(٢) «يحموم» بلا تنوين للوزن.

(٣) «لَتَكْسِبَ» بتحريك الباء للوزن، وإلا فهو مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه السكون.

(٤) جَوَزَ: احْتَمَلَ الْأَمْرَ وَأَغْمَضَ فِيهِ.

- ١- وَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِغِيَّتِي وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَا لَهَا
رِئَاسَتِهَا، نَتْنًا وَقُبْحًا لِحَالِهَا!!
- ٢- وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَيْهَا وَلَا إِلَى
سَرِيعِ تَقْضِيَّتِهَا، قَرِيبُ زَوَالِهَا
- ٣- هِيَ الدَّارُ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْعَنَاءِ

٦- فَاسْأَلْ رَبِّي أَنْ يَحُولَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا

٨- فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيصٍ وَمُشْفِقٍ عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَنْ يَنَالَهَا

- ٩- لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ «الْحَدِيدِ» وَ«يُونُسَ» وَفِي «الْكَهْفِ» إِيضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالِهَا
- ١٠- وَفِي «آلِ عِمْرَانَ» وَسُورَةِ «فَاطِرٍ» وَفِي «غَافِرٍ» قَدْ جَاءَ تَبْيَانُ حَالِهَا
- ١١- وَفِي سُورَةِ «الْأَحْقَافِ» أَعْظَمُ وَاعِظٍ وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ مُوجِبٍ لِاعْتِرَالِهَا

١٢- لَقَدْ نَظَرُوا^(١) قَوْمٌ بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا

١٣- أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا وَحِزْبُهُ لَهُمْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِثْرًا، وَيَا لَهَا!

(١) كَلْعَةً «أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ».

١٤- وَمَا إِلَيْهَا آخِرُونَ لِيَجْهَلَهِمْ فَلَمَّا أَظْمَأْنَا أَرْضَقْتَهُمْ نِبَالَهَا (١)

١٥- أُولَئِكَ قَوْمٌ آثَرُوهَا فَأُعْقِبُوا بِهَا الْخِزْيَ فِي الْأُخْرَى، وَذَاقُوا وَبَالَهَا

(١) «نِبَالَهَا» بالنصب مفعول به ثانٍ.

١٦- فَقُلْ لِلَّذِينَ اسْتَغْدَبُوهَا : رُوَيْدُكُمْ! سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ ^(١) النَّقِيعَ زُلَالُهَا

١٧- لِيَلْهُوا وَيَغْتَرُّوا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ مَتَى تَبْلُغَ الْحُلُقُومَ تُصَرِّمَ حِبَالُهَا ^(٢)

(١) «السُّمُّ» بالنصب خبر «سينقلب» التي بمعنى «صار»، و«زُلَالُهَا» بالرفع اسمها مؤخر.

(٢) أي : عند الموت تُقَطَّعُ حِبَالُ الدُّنْيَا.

١٨- وَيَوْمَ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيهَا ^(١) وَمَالَهَا

١٩- وَتَأْخُذُ إِمَّا بِالْيَمِينِ كِتَابَهَا إِذَا أَحْسَنَتْ، أَوْ ضِدَّ ذَا بِشْمَالِهَا

(١) «بَنِيهَا» بالياء نصباً خبر «كان» المحذوفة واسمها، والتقدير : لو كان الفداء بَنِيهَا.

٢٢- هُنَالِكَ تَذَرِي رُبْحَهَا وَخَسَارَهَا وَإِذْ ذَاكَ تُلْقَى مَا إِلَيْهِ مَالُهَا

٢٥- وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيمِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِهَا وَزَلَالِهَا

- ٢٦- وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَمَوْعِدًا زِيَادَةً ^(١) زُلْفَى، غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا
- ٢٧- وَجُورُهُ إِلَى وَجْهِهِ الْإِلَهِ نَوَاطِرُ لَقَدْ طَالَ مَا بِالدَّمَعِ كَانَ ابْتِلَالُهَا
- ٢٨- تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ مُسَلِّمًا فَيَزِدَادُ مِنْ ذَاكَ التَّجَلِّيِ جَمَالُهَا
- ٢٩- بِمَقْعَدٍ صِدْقٍ حَبَّذَا الْجَارُ رَبُّهُمْ وَدَارِ خُلُودٍ لَمْ يَخَافُوا زَوَالُهَا

(١) «زيادة» بالنصب لأنه بدل من «الموعداً» الموصوف بشبه الجملة، ويصح رفعه خبراً لمبتدأ محذوف.

= ۳۲- بَطَّائِنُهَا إِسْتَبْرَقٌ، كَيْفَ ظَنُّكُمْ ظَوَاهِرُهَا؟! لَا مُنْتَهَى لِحِمَالِهَا

٣٣- وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ وَنَارُ جَحِيمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالَهَا!

٣٤- لَهُمْ تَحْتَهُمْ مِنْهَا مِهَادٌ، وَفَوْقَهُمْ غَوَاشٍ، وَمِنْ يَحْمُومٍ^(١) سَاءَ ظِلَالُهَا

(١) «يحموم» بلا تنوين للوزن.

٣٥- طَعَامُهُمُ الْغَسِيلِينَ فِيهَا، وَإِنْ سُقُوا حَمِيمًا بِهِ الْأَمْعَاءُ كَانَ انْجِلَالُهَا

٣٦- أَمَانِيَهُمْ فِيهَا الْهَلَاكُ، وَمَا لَهُمْ خُرُوجٌ وَلَا مَوْتُ، كَمَا لَا فَنَاءَ لَهَا

٣٧- مَحَلِّينَ - قُلْ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا - لَتَكْسِبَ^(١) أَوْ فَلَتَكْتَسِبَ مَا بَدَأَ لَهَا

٣٨- فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَوَزَتْ^(٢) وَتَخَفَّفَتْ فَتَنْجُو كَفَافاً لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

﴿مَتَّى ٢٣﴾

(١) «لَتَكْسِبَ» بتحريك الباء للوزن، وإلا فهو مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه السكون.

(٢) جَوَزَ: احْتَمَلَ الأمرَ وَأَغْمَضَ فيه.

